أثر ركب الحج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي
الجنوب الغربي الجزائري نموذجا

أ.محمد برشان، جامعة بشار

مقدمة:

على الرغم من التجزئة السياسية التي عانت منها الدول المغاربية عبر مرحلها التاريخية خاصة خلال فترة العصور الحديثة، إلا أن التواصل الثقافي والاقتصادي والاجتماعي بين شعوب المنطقة ظل مستمرا ومتواصلا وكان ركب الحج عبر مسالك الصحراء من أهم سبل هذا التواصل وتوطيده وتوسيع أهدافه. ومن ثم فقد ساهمت أركاب الحج في ترسيخ معالم وأسس الحضارة العربية الإسلامية في المجال الصحراوي، رغم وقوعه على هوامش الحواضر العلمية الكبرى.

تنوعت مسالك وطرق ركب الحجاج المغاربة باتجاه أرض الحجاز مرورا على الجزائر، واختلفت من عصر إلى آخر تماشيا مع تطور الوضع الأمني المرتبط بالحالتين السياسية والاقتصادية في المنطقة، فخلال العصور الوسطى كانت أغلب أركاب الحج تفضل طريق البحر، وفي العصر الحديث أضحت جل الرحلات الحجية تتم عن طريق البر عبر الصحراء بفعل تحسن الأوضاع الأمنية وانتعاش الحركة التجارية، وتعدد التجمعات البشرية في ذلك المجال الصحراوي الرحب. وعبر المجال ذاته أخذ مسار تلك الرحلات محاور عديدة، فبعضها اختار المحاور العميقة الممثلة في أقاليم الساورة، توات وقورارة وتديكلت، بينما فضل البعض الآخر اجتياز الهوامش والأطراف الشمالية الواقعة على حواف سلسلة جبال الأطلس الصحراوي التي تشكل حدا فاصلا بين التل والصحراء. و يمكن تحديد مسالك ركب الحج في المحاور التالية:

1 – تافيلات إلى إقليم الزاب مرورا بإقليم الساورة، ومن أهم محطاته: بشار – بوسمغون – ربا – الغسول – وادي المغيلي – شعبة الملح – عين ماضي – تاجموت – بسكرة – سيدي خالد.

2 – الساورة إلى ورقلة مرورا على إقليم توات وهو يعبر مناطق العرق الشرقي وتادميت وتيدكلت ومن أهم محطاته: سوف– توقرت ورقلة– غرداية– عين صالح– أولف– تمنطيط– تبلبالة– عقلة البرابر – تندوف.[1]

بلغت الرحلات الحجازية ذهابا وإيابا ذروة نشاطها خلال فترة القرنين السابع عشرة والثامن عشرة الميلاديين بعد حالة الركود المسجلة في القرن السادس عشرة لأسباب تبقى في طي الكتمان بحسب ما أورده المؤرخ أبو القاسم سعد الله[2]. والرحلة الحجازية للمغاربة التي كانت في الأساس دينية لأداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة، أو علمية من اجل لقاء العلماء والفقهاء والمتصوفة واستكمال التحصيل العلمي استطاعت عبر مختلف مراحل التاريخ الإسلامي الوسيط والحديث، أن تؤثر حضاريا في المناطق الواقعة على طريق الرحلة الحجازية، امتدادا من المغرب الأقصى غربا، إلى الحجاز شرقا مرورا بالصحراء الجزائرية، تونس، وطرابلس ثم مصر.

التأثير الديني والثقافي للرحلات الحجية.

من العوامل التي ساهمت في انتعاش الحركة الثقافية في منطقة الصحراء بشكل يرقى إلى المستوى الذي عرفته الحواضر الكبرى توافد عدد كبير من العلماء المتواجدين ضمن أركاب الحج، والذين فضل الكثير منهم الاستقرار في المنطقة لجوها المساعد على الخلوة والتجرد للعبادة، والتفرغ للتأليف، ونذكر من هؤلاء العلماء الذين ذاع صيتهم، وكان لهم الحال الباهر الجامع بين علمي الظاهر والباطن الفقيه الصوفي أبو العباس أحمد ابن أبي محلي، إذ بعد رحلته التي جاب خلالها الحواضر العلمية الكبرى بشمال المغرب عاد إلى سجلماسة بأمر من شيخه في التصوف، ثم نزل بعدها إقليم الساورة بمدينة بني عباس في عام 1000هـ/1591م، وهو في طريقه إلى الحج[3]، وفيها تزوج بابنة عمدة البلدة الشيخ عبد الله بن محمد بن شمس الدين[4].

جعل الشيخ ابن أبي محلي من تعلمه مبادئ الفقه مطلبه الأول من خلال رحلاته العلمية التي جاب من خلالها حواضر العلم في المشرق والمغرب[5] والتي جمعته بعديد من الفقهاء سواء أولئك الذين تتلمذ على أيديهم بجامع القرويين بفاس، أو الذين لقيهم بمصر وهو في طريقه إلى الحج 1000 هـ/1591م، حيث مكث بجامع الأزهر في رواق المغاربة قرابة الخمسة أشهر أخذ فيها عن شيخه إمام المالكية سالم السنهوري الفقه وأجاز فيه، وقرأ عليه ألفيه الإمام العراقي في علوم

الحديث، وكذا صحيح البخاري، كما أخذ عن الشيخ أبي الحسن الطناني علم الأصول والمنطق، وفي مدينة بسكرة الجزائرية لقي الفقيه النحوي أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمان[6].

ولما ذاع صيته وعلا اسمه بين الناس تهافت عليه طلبة العلم من كل فج يستفسرونه ويجالسونه طلبا للفقه والعلم، وهو ما جعل مدينة بني عباس بإقليم الساورة تغدو حاضرة علمية تضاهي وتنافس الحواضر الكبرى في استقطاب طلبة العلم والعلماء في آن واحد، فمن بين العلماء الذين زاروه ببني عباس نذكر على سبيل المثال الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة التونسي الجزائري المولد والنشأة[7]، كان يشارك الشيخ ابن أبي محلي مجالسه العلمية، والفقهية بجامع المدينة، واستمرت هذه العلاقة بين الشيخين، إلى أن أعلن ابن أبي محلي ثورته ضد السعديين 1019 هـ /1611م . تفرقا الرجلان واحد شرق والثاني غرب[8].

وعلى صعيد آخر استقطبت الزوايا التي عجت بها المنطقة الصحراوية صفوة العلماء الوافدين على المنطقة باتجاه الحجاز لأداء فريضة الحج ذهابا وإيابا، فكان نزولهم بتلك الزوايا عاملا مساعدا على ترقية المستوى التعليمي للطلبة، من خلال الجلسات العلمية التي كان ينشطها هؤلاء العلماء، نذكر منهم الشيخ أبا الحسن علي بن محمد بن عبد الله الحاحي، والشيخ محمد بن عبد الله التلمساني، هذا الأخير كان عالما ملما بشتى علوم المنطق والبيان، تردد كثيرا على الزاوية الزيانية مرفوقا بنفر من العلماء، وقد جاء يوما وصاحبه في زيارته نحو أربع وعشرين فقيها من المدرسين بالجامع الكبير بتلمسان[9].

ومن هؤلاء العلماء نذكر أيضا العلامة إدريس بن محمد المنجرة الذي زار الزاوية الزيانية في عام 1136هـ/1723م، وهو في طريقه إلى الحج، ودون تفاصيل تلك الزيارة في مؤلفه "عذب الموارد في رفع الأسانيد" وعن ملاقاته للشيخ محمد بن بوزيان يقول: "لقيته ببلده، واستفدت منه، لقنني وواعدني وصرح لي بما أرجو الله في حصوله وأكثر".[10]

كما كانت مواكب الحجيج إحدى الوسائل الهامة والفرص المتكررة لاقتناء الكتب والمصنفات، ونقلها لإثراء المكتبات الدينية بالزوايا بالكتب التي يحتاجها الطلبة، فمعظم الكتب المتداولة آنذاك كانت في أغلبها دينية وهو ما يكشف لنا عن نوعية الثقافة والتعليم. فعندما توجه الشيخ ابن أبي زيان إلى بيت الله حاجا أوصاه طلبته باقتناء جملة من الكتب من جملتها:" الإصابة في تعريف الصحابة" على أربعة أسفار للحافظ بن حجر العسقلاني وكتاب"القاموس على اللغة" في سفرين،

كتاب"تفسير الخازن على القرآن" ومن كتب الفقه: "شارح المختصر"للشيخ الزرقاني" وكتب أخرى[11].

وعن الأهمية العلمية والتنظيمية لمكتبة الزاوية الزيانية كتب الشيخ عبد العزيز الهلالي في رحلته يقول: وفي القنادسة... بالغ الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي زيان والعلامة أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الحاحي، وأدخلاني خزانة الكتب فظللت بها وبت، ورأيت بها من الكتب جملة مرغوبا فيها منبئة باعتناء جامعها ومقتنيها"[12].

كان لركب الحج أيضا دورا مهما في تصحيح بعض المفاهيم الدينية والإجابة عن كثير من المسائل الفقهية التي شغلت بال سكان المنطقة، فكانوا يطرحونها على الفقهاء كلما مر موكب من مواكب الحجاج حيث يذكر الرحالة العياشي مثلا في رحلته المعروفة بماء الموائد أنه:" ... لما وصلنا بني عباس وجه إلى سيدي إبراهيم السوسي، وكان معنا في الركب سؤال منظوم في ثلاثة أبيات وحاصله أنه قال: هل يجوز للشاعر اللحن في القوافي أم لا ؟ فاستهجنت هذا السؤال واستنكرت أن يكون صاحبه ممن له بضاعة من الأدب ماسة، وعلمت أن قصده السؤال عن ضرائر الشعر وما يقع فيه مما هو بعيد عن منهج العربية ولا يجري على قواعدها. فأجبته بأبيات مضمنها أن اللحن لا يسوغ في شيء من الكلام نظمه ونثره، إلا أن النظم لما أضيق من النثر اغتفرت فيه أشياء كثيرة لا يغتفر مثلها في النثر ولا يسوغ"[13]. كان ذلك في الجانب الأدبي الذي شابه كثير من الضعف والتخلف.

أما فيما يخص الجانب الديني فلم يسلم هو الأخر من تبعات التخلف الذي طبع وانتاب مختلف العلوم الدينية والأدبية، ففي الفقه نجد أن غالبية المسائل الفقهية التي طرحت على العلماء ارتبطت بالأحوال الشخصية وأمور الأسرة من ذلك يذكر أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي أنه سئل بالقنادسة "عن زوجة غائب قامت في غيبته بحق النفقة، فباع لها الحاكم أصله بعد ثبوت جميع الموجبات ثم قدم الزوج فأثبت أنه ترك لها النفقة. فهل له نقض البيع أم لا؟. فأجبت:أنه ليس له ذلك، وإنما له أخذ ثمنه من من قبضه، لما صدر به البرزلي ونقله الحطاب، وقال مثله للخمي من: أن المدين إذا بيع أصله في غيبته لقضاء دينه ثم قدم فأثبت البراءة منه، أن البيع لا ينقض، وإنما يرجع بالثمن على من قبضه. وقد أشار إلى ذلك ابن عاصم في ذي الغيبة المتوسطة بقوله والله تعالى أعلم".[14]

وفي ذات السياق أشار محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي في رحلته أنه لما ارتحل الركب" من القنادسة تاركين قرى بشّار ذات اليمين فبتنا بقربها بمدشر وَكْدَ [واكدة] قبل الظهر، ...وبه سئلت:عمن حلف بحرام زوجته إن لم تسق الماء ليكونن كافرا، ماذا يلزم الحالف؟ فأجبت:بأن الحالف عاص في يمينه، فإن سقت الماء انحلت عنه يمينه وتلزمه التوبة والاستغفار، وإلا فإن ضرب للسقي أجلا ولو بالعرف ومضى زمانه و لم تفعل حرمت عليه بمقتضى يمينه ما لم يبادر بالردة عياذا بالله، فتطلق عليه طلقة بائنة عملا بقول المتن: "لا ردته فباينة ولو لدين زوجته".[15]

ومن جهته يبرز الرحالة أحمد الهشتوكي دور العلماء الذين رافقوا ركب الحجاج في تصحيح بعض المفاهيم والشعائر الدينية، التي استهان منها بعض السكان واستصغروها لجهل منهم لأحكامها الشرعية إذ يقول:"... فقلنا يوم الجمعة في أجنتهم إلى أن حان وقت الجمعة فدخلت أنا ومولانا عمر فصلينا في قصرهم – بشار- الجمعة، فوجدنا أكثرهم قاعدين في أزقتهم غير مبالين بصلاة الجمعة فخاصمناهم خصاما شديدا وذكرنا لهم أنهم عصاة أثموا على فعلهم إثما شديدا".[16]

وجدير بالذكر أن تدهور الحياة الثقافية والفكرية ظاهرة عمت كل بلاد المغرب الحديث خلال القرن السابع عشرة، و لم تسلم منها حتى الحواضر الكبرى كفاس، وتلمسان. حيث يصف أبو القاسم الزياني ذلك الوضع الثقافي المتردي بحاضرة تلمسان فيقوله: "وهؤلاء الطلبة بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة ولا عربية ولإصلاح اللسان، ولا يتعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية"[17]. كانت هذه وضعية العلم بتلمسان أكبر حواضر العلم والمعرفة في الجزائر خلال تلك المرحلة، فما بالك بغيرها من المدن خاصة تلك الواقعة على أطراف الصحراء.

من خلال الآثار العمرانية الباقية في المجال الصحراوي نستشف أن الثقافة الدينية الصوفية كانت هي المتجذرة في أعماق المجتمع الصحراوي خلال العصر الحديث، ذلك أن أهمية الصحراء كطريق لركب الحجيج استقطب رجال التصوف، فالقباب والأضرحة والمساجد والزوايا خلدت أسماء أولئك الأولياء والصالحين الذين استقروا بالصحراء، أو مروا بها. من ذلك أنه لما حل الولي الصالح سيدي بوسمغون بالبلدة المسماة على اسمه وهو قادم من الساقية الحمراء أو بلاد شنقيط لأداء فريضة الحج استوقفه نزاع أهله وتناحرهم فيما بينهم، فآثر على أداء فريضة الحج إصلاح ذات البين بين الأطراف المتنازعة، ومن ثم مكث في بلدة بوسمغون إلى أن دفن هناك.[18]

ولا تكاد تخلوا مدينة أو قصر إلا وتجد به ضريحا لولي صالح، بل ويعتقد الجميع بالحضور الروحي الدائم للولي الميت، وبقدرته على التوسط والشفاعة بينهم وبين الله. لذلك لما أضحت قوافل الحج في حماية شيوخ الزوايا كانت محصنة من أي أذى. ومن ثم فان كل من تجرأ على إيذاء السلطة الخارقة للولي الصالح فسينال عقاب الله الشديد. [19]

وأخذت الكثير من الطرق الصوفية بالانتشار في البلاد القريبة والبعيدة بفضل أركاب الحج ووفود الزوار الطريقة الناصرية الشاذلية بفضل جهود شيوخها في تلقين أوراد الطريقة ومنهم أحمد بن ناصر الدرعي الذي كان له اهتمام خاص بنشر طريقته الصوفية في الجزائر وغيرها، بعد وفاة والده محمد بن ناصر مؤسس الزاوية، وفي هذا الصدد يذكر أحمد بن ناصر الدرعي أنه لما بلغ الموكب : " بشار قبل العصر....ودفعنا لأخينا مقدمنا ومحبنا سيدي عمرو بن عبد القادر منشورا يتضمن إذننا له في تلقين الأوراد نيابة عنا، أعانه الله على القيام بمقتضاه لله ورددناه لأهله ليعجل إدخال السرور عليهم، من أذنا له في سفرتنا هذه: سيدي محمد الأخصاصي بالمدينة المشرفة، وسيدي محمد بن منصور السفطي بمصر، وسيدي الحاج عيسى بن خليفة من أولاد سيدي ناصر ببرقة، وسيدي عبد الله بن سحنون من أهل اغريس من أحواز تلمسان، وابنه بعده سيدي الهاشمي، وسيدي علي بن عبد الصادق بطرابلس، وسيدي بن عبد الله الجذوب بحمة قابس، وسيدي عمرو هذا، واسأل الله تعالى أن ينفع الجميع، وينفع بهم ويؤيدهم بمنه وكرمه آمين. ...". [20]

ولا تخلو محطة من محطات الحجيج إلا ويزار الولي المدفون فيها وهو ما ذكره العياشي في رحلته "...نزلنا بزاوية سيدي أحمد بن موسى، نفعنا الله به وأحسن لنا صاحبها في القرى لنا، ولسائر أهل الركب، ثم ارتحلنا منه بعدما زرنا قبر سيدي أحمد بن موسى، وفي تسابت – توات– زرنا قبر الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا سيدي محمد بن صاح المعروف بعريان الرأس. [21]

التأثير الاجتماعي والاقتصادي:

عبر المراحل التاريخية ساهمت أركاب الحج في وفود واستقرار عناصر بشرية جديدة في المجال الصحراوي تتباين في نمط معيشتها، وفي مستواها العلمي والثقافي، إذ أن الاستقرار الأول للقبائل العربية الوافدة من المشرق خلال فترة العصر الوسيط، كان على نقاط المراكز التجارية التي تمر منها أو تنتهي إليها القوافل التجارية. وفي الفترة الحديثة عرفت منطقة الجنوب الغربي الجزائري توافد قبائل

عربية أخرى عبر أركاب الحج إذ نجد مثلا قبائل الغنائمة حلت بإقليم الساورة وافدة إليه من إقليم السوس المغربي بعدما بلغها خصوبة وادي الساورة عن طريق الرحلات الحجية، فانجذبوا إليه منذ القرن السابع عشر الميلادي، والوضع نفسه ينطبق على قبائل ذوي المنيع التي استقرت على ضفاف وادي قير. [22]

أدى التنوع في العناصر البشرية التي اتخذت من الصحراء موطنا لها إلى تشكل مجموعتين مختلفتين من حيث نمط وأسلوب الحياة، الأولى استقرت في المدن والقصور يتوقف نشاط أهلها على ممارسة النشاط الزراعي، وامتهان التجارة، وأما الثانية غير مستقرة تضطر دائما للتنقل والترحال حيث العشب والاخضرار، إذ تعد تربية المواشي المورد الأساسي لحياتهم واحتراف مهنة الرعي السمة الغالبة والطاغية على نشاطهم. ومن ثم فقد ساهمت كل مجموعة بمنتوجات متباينة عن الأخرى في المبادلات التجارية التي كانت تستقطب القوافل التجارية وأركاب الحج.

من نتائج ذلك النشاط أن القصور الصحراوية أصبحت تتمتع برخاء اقتصادي بفضل وفرة الإنتاج الفلاحي والرعوي، والمساهمة في نشاط القوافل التجارية العابرة للإقليم الصحراوي، الأمر الذي انعكس بالإيجاب على الوضع الاقتصادي والاجتماعي لسكان المنطقة وتحولت إلى محطات ومراكز لتموين الحجاج وتزويدهم بمختلف المواد التي احتاجوها في رحلتهم الطويلة إلى الديار المقدسة، حيث يشير العياشي في رحلته إلى أن الأسعار كانت رخيصة على العموم، وكل محطة كانت لها أهميتها الخاصة بالنسبة إلى الحجاج.

وقد عبر عن ذلك في كثير من المحطات التي سلكتها أركاب الحج من ذلك منطقة توات إذ يقول: " وسبب إقامتنا في هذه البلاد — تسابت – هذه المدة أن كثيرا من الحجاج ما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصرف إلى توات فان الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من تنمبكت ومن السودان، ويوجد فيها من السلع التي تجلب من الغرب كالخيل وملابس الملف والحرير، فإذا قدم الركب إليها كان فيها سوق حافل." [23] وعن أهمية إقليم توات في الحركة التجارية خاصة أثناء موسم الحج يقول بن مليح في رحلته:" ثم نزلنا لبلاد توات بمدشر يعرف ببني أركان[رقان] أول منزلة من البلاد المذكورة بلد طيبة كثيرة الزرع والثمار المختلفة بالجنس والنوع، ذات عيون جارية وأنهار والنوع، ذات عيون جارية

وأنهار، على مر الليالي والنهار، ورئيس الموضع خير، نجيب، حسيب أريب، يقال له الشيخ عافة، لا تطرق من ألمَّ به آفة، فأقام بها الركب سبعة عشر يوما في نعمة شاملة، وآلاء الله عليه متواصلة، وبيع وشراء، وأخذ وعطاء، فيالها من بلدة ما أحسنها جبر الله صدعها، وأدام للمسلمين نفعها،...ثم انتقلنا لمدشر الدعامشة [الدغامشة] من البلد المذكورة فالتقينا به مع سيد صالح مشهور البركة والصلاح والدين والورع والفلاح، اسمه سيدي علي بودربالة، عليه من مخايل العبادة، والسياحة والزهادة، ما لا يمكن أن يخفى، رقة جسمه، صفرة لونه، وظهور الخير والصلاح بوجهه". [24]

ومن أهم المتوجات التي لقيت رواجا بين أوساط الحجاج مادة السمن – الدهان – وهو من مشتقات الحليب يستخدم مع جل الأغذية والوجبات لأنه يقوي الجسم، ويساعده على تحمل مشاقة السفر خصوصا في فصل الشتاء، ويتوفر في القصور الشمالية الصحراوية منها قصر ربا الذي أشار إليه العياشي في رحلته في قوله: " ...قرى أربا فوجدنا لديهم سمنا كثيرا، واشترى الناس حاجتهم من السمن،وبلغ الشعير قريبا من ريال للصاع وبلغ الدقيق أكثر من ذلك، وبقيت لي هناك ناقة أحمل عليها كتبي فبعتها بثلاث ريالات".[25]

كما كان الحجاج يشترون الأكسية والبرانس خاصة إذا تزامنت الرحلة مع فصل الشتاء نظرا للبرودة الشديدة التي تميز هده المناطق من الصحراء، فكان الحجاج يفضلون اقتناء البرانس سواء البيضاء أو المخططة لأنها تتميز بالجودة والمتانة.

وعلى صعيد آخر فقد ساهمت أركاب الحج في امتهان بعض من أهل الصحراء لمهنة إرشاد وتوجيه اركب الوجهة الصحيحة في فيافي الصحراء الشاسعة، لا سيما إذا تعلق الأمر بالعروق في الصحراء، أو الجبال في الأطلس الصحراوي لأنها منطقة جبلية ويتعذر فيه اختيار الطريق السهل المنبسط. يذكر الدرعي في رحلته أنهم لما بلغوا مدينة فجيج استأجروا رجلا يرشدهم الطريق المؤدية إلى بلدة بوسمغون بمثقال، ولما وصلوا إلى الكراكدة استأجروا رجلا آخر له الدراية بالمسالك في المنطقة يرشدهم الطريق إلى الأغواط بمثقالين.[26]

خاتمة: نستخلص مما تقدم أن ركب الحج كان من أهم سبل التواصل بين الشعوب المغاربية رغم التجزئة السياسية التي عرفتها أنظمة الحكم فيها، وكان للصحراء دورا جليا في توطيد ذلك التواصل وتوسيع أهدافه، كما ساهمت أركاب الحج في تمتين الروابط الثقافية والاجتماعية بين المجتمع المغاربي،

وكان لها الأثر المشهود في ازدهار الحواضر الصحراوية التي تحولت مع مرور الوقت إلى مراكز للإشعاع الديني والثقافي، وأسواق كبرى لتبادل مختلف المنتجات الاقتصادية. و لم يكن الركب وسيلة للنقل فحسب، بل معرضا متنقلا يبيع ويشتري، يضم بين جنابته العلماء والقضاة... لذلك فكلما كانت نقاط التوقف كثيرة كلما كانت الفوائد أكبر على كل الأصعدة.

الهوامش:

1- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979، ص.25. وكان الركب الحجي السجلماسي يقطع المسافة بمعدل 36 كلم في اليوم والليلة عبر مراحل من 04 ساعات إلى 07 ساعات، يسير بمتوسط مشي قدره 3 كلم في الساعة الواحدة، يستريح بين المرحلة والأخرى مدة 04 ساعات تقريبا، وقد تزيد أحيانا إن تطلب الظرف ذلك. ينظر:

-Gerhardt Rohlfs, Voyages et Exploration au Sahara, Traduits et Publiés par Jacques Debetz, Edition Karthala, 2001, Paris, tome1, PP.183.184.

2- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج1،بيروت، دار الغرب الإسلامي،ط1، 1990، ص.179.

3- أقام بها ما يناهز العشرين سنة من عمره، وهو في ريعان شبابه، وقمة عطائه حيث ألف بها معظم مؤلفاته التي طرقت أبواب مختلفة من العلوم الدينية والسياسية والتصوف كما كانت الساورة مرتكز متينا في انطلاقه واحتضان دعوته المهدوية ... لذلك لا نستغرب من أن نجد بعض المصادر تلقبه بالساوري. ينظر: - أبو راس محمد بن أحمد الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته تحقيق محمد بن عبد الكريم المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990 .- المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا .. إلى أواخر القرن 19،ج ، تحقيق ودراسة، بوعزيز يحي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1990 ص 232.

4- أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، أوعد راء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر،مخطوط ،دار الكتب المصرية القاهرة،رقم 431 أدب.

5- الإفراني، محمد الصغير، بن الحاج بن عبد الله ، ت (1138 هـ) نزهة الحادي لأخبار ملوك القرن الحادي مخطوط ، الخزانة العامة الرباط ، تحت رقم 150، 1888 ، ص 308 .

6- واحيحي سعيد، سجلماسة / تافيلات من أندراس المدينة إلى واحة القصور (796 هـ / 1393 م) ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث. جامعة سيدي محمد بن عبد الله... المغرب (2004)، ص ص. 292.293 .

7- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج 2، منشورات دار المغرب، الدار البيضاء، 1978، ص. 627.

8- سعيد بن إبراهيم المشهور بقدورة (ت 1066ه)، فقيه ومتصوف تلقى تعليمه على يد الشيخ سعيد المقري، والشيخ إبراهيم الهشتوكي، له عدة تآليف منها: شرح خطبة اللقاني، وشرح مسلم. وكان الطلبة يرحلون إليه من كل مكان للتزود بعلمه. ينظر: - محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية المطبعة السلفية، القاهرة، 1349ه، ص.309.

9- التازي، علي عبد القادر،منهل الظمآن ومزيل الهموم والكرب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا محمد بن أبي زيان، مخطوط موجود بخزانة الزاوية القندوسية ولاية بشار، غير مصنف،ص.505.

10-القندوسي أبي عبد الله سيدي محمد بن القاسم، شراب أهل الصفا في الصلاة على النبي المصطفى ، تحقيق حمادي عبد الله ،خونا أحمد محمود الجكني، الجزائر، دار الهدى؛ 2008، ص.70.

11-القندوسي محمد مصطفى، طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية، مخطوط موجود بخزانة الزاوية الزيانية القنادسة ولاية بشار، غير مصنف، ص.577

12-الهلالي أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد السجلماسي(ت 1175هـ/1761م)، التوجه لحج بيت الله الحرام و زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، مخطوط غير مصنف، غير تام من 29 صفحة، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام- أدرار. ص.2.

13-العياشي عبد الله بن محمد، ماء الموائد أو الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، تحقيق وتقديم، سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006، ص.77.

14-الهلالي أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد، نفس المصدر، ص ص. 8-13.

15-الدرعي محمد بن عبد السلام الناصري (ت1239هـ/1823م)، الرحلة الحجازية الكبرى، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط،المغرب، تحت رقم:6904 ص.88-92 .

16-أبو العباس أحمد بن مَحمد بن داود بن يعزى التنملي الهشتوكي (ت1127هـ/1715م),هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، مخطوط رقم: ق190، المكتبة الوطنية، الرباط-المغرب، ص.97.

17-الزياني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق وتعليق، عبد الكريم الفيلالي، دار المعرفة الرباط، 1991، ص.144.

18-فقيقي محمد الكبير، "حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث"، مجلة المواقف، منشورات جامعة معسكر، العدد السادس، ديسمبر 2011، ص.312.

19-العياشي، نفس المصدر، ص ص.77.78.

20-الدرعي أحمد بن مَحمد بن ناصر التمكروتي [التمقروتي] (ت1129هـ/1717م)، الرحلة الناصرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 1349، ونسخة أخرى على الميكروفيلم، رقم: 1954. ص ص234 أ – 237ب

21-الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة وتحقيق، محمد حجي ومحمد الأخضري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص.132.

22- De La Matinier, (H .M.P), Lacroix, (N), Documents Pour Servir a L' Etude Du Nord Oust Africain, T2, Gouvernement General De L Algérie, Alger, 1897.PP.567.617.

23-العياشي، نفس المصدر، ص.79.

24-ابن مليح، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، الشهير بالسراج (كان حيا 1042هـ/1632م)، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، مخطوط رقم: (2341 ك)، خزانة الرباط، ص ص.27-32.

25-العياشي، نفس المصدر، المجلد الثاني، ص.548.

26-الدرعي، أحمد بن محمد بن ناصر، الرحلة الناصرية، بالمكتبة الوطنية الجزائرية مصور بالميكروفيلم، تحت رقم:1954، ويحتوي على 270 ورقة. ص.19.

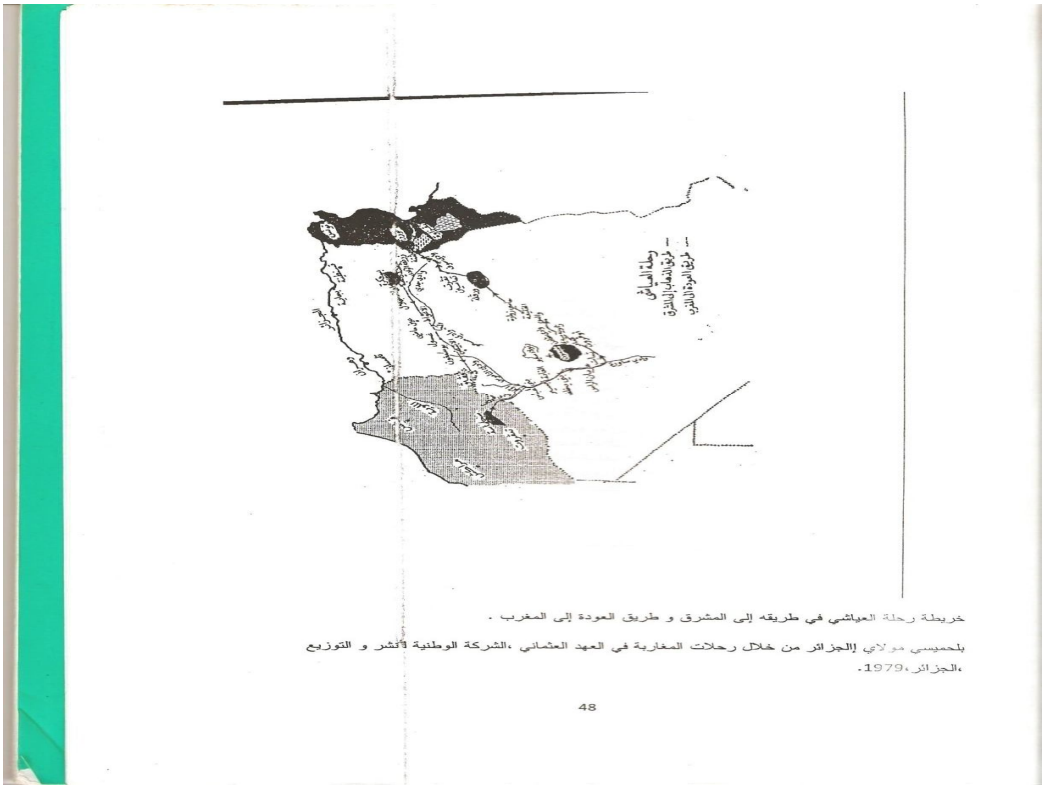

خريطة رحلة العياشي في طريقه إلى المشرق و طريق العودة إلى المغرب .

بلحميسي مولاي إلجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر،1979.

48